معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH

*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 102-121
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328
Submission date: 27 October 2019
Accepted date: 15 November 2020

# ابتلاء الأنبياء والمرسلين بالنساء في القرآن الكريم دراسة دلالية

# THE WOMEN'S PLIGHT OF THE PROPHETS AND MESSENGERS IN THE NOBLE QUR'AN: A SEMANTIC STUDY

**Nayel Mamdoh Abuzaid**
College of Sharia and Islamic Studies
University of Sharjah, United Arab Emirates
E-mail: nabuzaid@sharjah.ac.ae

## الملخص

تعالج هذه الدراسة موضوع ابتلاء الأنبياء والمرسلين بالنساء في القرآن الكريم، وقد درس الباحث هذا النوع من الابتلاء عند خمسة من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام وهم نبي الله نوح ولوط ويوسف وداوود ومحمد عليهم السلام، حيث ابتلي نبي الله نوح ولوط عليهما السلام بامرأتين كافرتين، وابتلى يوسف عليه السلام بامرآة العزيز، وابتلي خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ببعض أزواجه وأما نبي الله داوود عليه السلام فقد تبين للباحث أنه لا صحة لما روي من ابتلائه بزوجة أحد جنده. أما الهدف من هذا البحث فهو تعريف الدارسين والمهتمين بالدراسات القرآنية بموضوع ابتلاء الأنبياء والمرسلين بالنساء في القرآن الكريم، وبيان أنه سنة كونية توصل الباحث من خلالها إلى ما في هذا الابتلاء من حكم ربانية. وأما منهج البحث قام الباحث بجمع الآيات المتعلقة بموضوع ابتلاء الأنبياء والمرسلين بالنساء في القرآن الكريم ونسبت الآيات إلى سورها في القرآن الكريم ودراستها من كتب التفسير دراسة موضوعية واستنباط الدروس المستفادة منها وتخريج الأحاديث ونسبتها إلى مصادرها الأصلية. وأوضحت الدراسة نتيجة هذا الابتلاء وموقف هؤلاء الرسل الكرم عليهم السلام من هذا الابتلاء، وتبين للباحث من خلالها أن هذا الابتلاء كونوا به قدوة للخلق في الثبات على الحق.

**الكلمات المفتاحية**: الابتلاء، الأنبياء، المرسلين، النساء.

## ABSTRACT

This study deals with the issue of the affliction of the prophets and messengers with women in the Holy Qur'an. The researcher studied this type of affliction among five of the prophets and messengers, peace be upon them, they are the prophet of Allah, Noah, Lot, Joseph, David, and Muhammad, peace be upon them, where the prophet of Allah, Noah and Lot, peace be upon them, were plagued by two infidels; Joseph, peace be upon him, was plagued with a dear woman, and the Seal of the Prophets, Muhammad, may peace be upon him, was afflicted with some of

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH

*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 102-121
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

his husbands. As for the Prophet of God, David, peace be upon him, the researcher found that there was no truth to what was narrated from his affliction with the wife of one of his soldiers. The aim of this research is to introduce learners and those who are interested in Qur'anic studies to the topic of the affliction of the prophets and messengers with women in the Noble Qur'an, and to demonstrate that it is a cosmic year through which the researcher has reached the aim of the research, the divine rule in this trial. As for the research methodology, the researcher collected the verses that were related to the topic of the affliction of the prophets and messengers with women in the Holy Qur'an. The study showed the result of this affliction and the position of these generous messengers, peace be upon them, regarding this affliction.

**Keywords:** women, plight, prophets, semantic

## 1. المقدمة

إن الله أوجد النساء فتنةً للرجالِ، وذلك بحُكم خلقتِها وتكوينها وطبيعتها، وما خصَّها الله تعالى به من خصائص؛ كالإغراء، والأنوثة، والجمال، وما بثَّه الله تعالى في قلوب الرجال من الميل الفِطري إلى النساء، والرغبةِ إليهن، وهن موطن قضاء الشهوة، وإرواء الغريزة الفطرية والمرأة قد تكون بابا للعفة والطهارة والبناء والسموِّ بالأخلاق والفضائل وقد تكون معولا للهدم ونشر الإباحية والفجور.

والمرأة المؤمنة بالله حقًّا، هي التي تَسعى لمرضاة الله بكلِّ السُّبل، مضحية بشهواتها الدنيوية وميلها للتزين والتجمل إلَّا لمن أحلَّه الله لها من الرجال، في سبيل الوصول للسموِّ الروحي، الذي يَجعلها تَخرج بعبادتها لله إلى جنات النعيم.

ولحرص النبي صلى الله عليه وسلم على النساء، أوصى بالرفق بهن "عن المقدام بن معدي كرب، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إن» الله يوصيكم بالنساء خيرا، إن الله يوصيكم بالنساء خيرا، فإنهن أمهاتكم وبناتكم وخالاتكم."[1]

والنفس تشتهي مشتهيات[2] كثيره من أشدها النساء قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤].لقد عدد الله سبع مشتهات تتوق لها النفس وبدأ بالنساء أولا" وإنما قدمهن على الكل لأن الالتذاذ بهن

[1] الطبراني: سليمان بن أحمد (2008)، المعجم الكبير، مكتبة ابن تيمية . القاهرة، 271/2.

[2] الشهوة وهي: توقان النفس إلى الشيء، انظر الواحدي علي بن أحمد بن محمد ( 1995)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دمشق: الدار الشامية، 201/1.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 102-121
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

أكثر والاستئناس بهن أتم"،[3] والنفوس كثيرة التشوف إليهن؛ وهن حبائل الشيطان وفتنة الرجال والفتنة بهن أشد من جميع الأشياء.[4]

وهن حبائل الشيطان إذا انسلخن من الحياء والآداب، فإنهن لا يقفن عند حد من حدود الله، ولا يلتزمن بالآداب، ولا يعرفن الفضيلة التي أرشد إليها الإسلام ودلّت عليها الفطرة السوية، لقوله صلى الله عليه وسلم: "إن المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان، فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله، فإن ذلك يرد ما في نفسه."[5]

وفي هذا إشارة إلى الهوى والدعوى إلى الفتنة بحالها ، وما جعل الله فى طباع الرجال من الميل إليها، كما يدعو الشيطان بوسوسته وإغوائه لذلك، وتزيينه، فإذا أبصر أحدنا امرأة فأعجبته ووقع في قلبه شيء ، فليأت أهله، فإن ذلك يرد ما فيالنفسوهو تنبيه من النبي – عليه السلام – لدواء ذلك الداء المحرك للشهوة للنساء يطفئها بالمواقعة، وإراقة ما تحرك من الماء، فتسكن الشهوة، ويذهب ما في النفس، ولا يظن شخص أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان حين يرى امرأة غير زوجاته، أنه كان يقع في نفسه مما يراه شيء، وتميل نفسه له ، فهو منزه – عليه السلام – عن ذلك، لكنه إذا فعل ذلكمع بعض أزوجه فلكي يقتدى به بالفعل، ويمتثل أمره بالقول.[6]

وهو توجه منه – عليه السلام – للمسلم عند رؤية الحسن كيف يعالج هوى النفس بأن يقضي حاجته مع زوجته فلا أجمل من السبيل الذي شرعه الله.

لذا حث القرآن الكريم النساء على ترك دواعي الفتنة؛ كإبداء الزينة والضرب بالرجل والخضوع بالقول والتبرُّج، فقال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: ٣٠ – ٣١].

وقد نبه الكتاب المبين إلى بعض الأسباب المثيرة لفتنة الرجال بهن من تبرُّجهن وخضوعهن بالقول والحديث مع الرجال قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ

[3] الفخر الرازي: محمد بن عمر(1981)، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، بيروت: دار الفكر، 36/7

[4] انظر القرطبي، محمد بن أحمد (2006)، الجامع لأحكام القرآن، الرياض: دار عالم الكتب، 29/4

[5] أخرجه مسلم في باب من رأى فوقعة في نفسه، النيسابوري: مسلم بن الحجاج القشيري (2010)، صحيح مسلم، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 126/2.

[6] ابن عياض: القاضي عِيَاض بن موسى (1998)، إكمَالُ المعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، مصر :دار الوفاء (531/4)

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 102-121
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ﴾ [الأحزاب: ٣٢ – ٣٣] فالمرأة إذا تجلت بزينة فكأنها تعرض بها استجلاب واستحسان الرجال لها وتثير رغبتهم فيها.[7]

ومن هنا كانت الفتنة بالنساء أشد من الفتنة بغيرهن ويشهد لذلك جاء تحذّير النبي صلى الله عليه وسلم من فتنة الرجال بالنساء بقوله: "إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت في النساء."[8] "فالمحنة بالنساء أعظم المحن على قدر الفتنة بهن، وقد أخبر تعالى مع ذلك أن منهن لنا عدوا فينبغي للمؤمنين الاعتصام به والرغبة إليه في النجاة من فتنتهن."[9]

والأنبياء والمرسلين عليهم السلام وهم قدوة الخلق إلى الحق تبارك وتعالى قد تعرض بعضهم لفتنة النساء فبعضهم تعرض للابتلاء بالنساء من غير الزوجات كنبي الله يوسف عليه السلام والبعض الآخر ابتلي بالمحن من زوجات غير مؤمنات كنبي الله نوح ولوط عليهما السلام، ورسول الله وخاتم النبين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تعرض للمحن من بعض زوجاته المؤمنات.

أما الهدف من هذا البحث فهو تعريف الدارسين والمهتمين بالدراسات القرآنية بموضوع ابتلاء الأنبياء والمرسلين بالنساء في القرآن الكريم، وبيان أنه سنة كونية توصل الباحث من خلالها إلى ما في هذا الابتلاء من حكم ربانية.

تمكن هذه الدراسة الدارسين من فهم معاني القرآن فهماً صحيحاً من خلال الاطلاع على منهج القرآن في ابتلاء خمسة نماذج من الأنبياء والمرسلين بالنساء وهم نبي الله يوسف ونوح ولوط وداوود ومحمد عليهم السلام في القرآن الكريم.

مما لاريب فيه أن الباعث الأكبر للشروع في عمل هذا البحث المكانة العالية للأنبياء والمرسلين التي تزيد من وعي دارسي التفسير لموضوع يتعلق بالابتلاء بالنساء لنخبة من البشر أصحاب مكانة سامقة،وهم صفوة الخلق في موضوع يتعلق بالتفسير الموضوعي للقرآن عن طائفة من الخلق قال الله فيهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [الأنعام: ٩٠] وهو موضوع مفيد غاية الإفادة للباحثين في هذا المجال مما يفتح آفاقاً جديدة في مجال الدراسات القرآنية.

## 2. منهج البحث

[7] ابن عاشور، محمد الطاهر (2008)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، تونس: الدار التونسية للنشر، 298/8.

[8] القاضي، عياض بن موسى (1998)، شَرْحُ صَحِيح مُسْلِم المسَمَّى إِكمَالُ المعْلِم بفَوَائِدِ مُسْلِم، 235/8

[9] ابن الملقن، أبو حفص عمر بن علي (2008)، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، دمشق: دار النوادر، 228/4

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 102-121
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

قام الباحث بجمع الآيات المتعلقة بموضوع ابتلاء الأنبياء والمرسلين بالنساء في القرآن الكريم ونسبت الآيات الى سورها في القرآن الكريم ودراستها من كتب التفسير دراسة موضوعية واستنباط الدروس المستفادة منها وتخريج الأحاديث ونسبتها الى مصادرها الأصلية.

## 3. تعريف الابتلاء

لفظ الابتلاء في اللغة مأخوذ من مادة (ب ل و) التي تدل على الاختبار. قال ابن فارس: " (بلوي) الباء واللام والواو والياء، أصلان: أحدهما إخلاق الشيء، والثاني نوعٌ من الاختبار،.فأمّا الأوّل فقال الخليل: بَلِيَ يَبْلى فهو بالٍ. والبِلَى مَصْدَرُه. وإذا فتح فهو البَلاَء، ... ويكونُ البَلاءُ في الخير والشرّ. والله تعالى يُبْلِي العَبْدَ بلاءً حسناً وبلاءً سيئاً، وهو يرجع إلى هذا؛ لأنه بذلكَ يُختبَر في صَبْرِه وشُكْرِه."[10] ، وهذا ما ذهب إليه ابن منظور أيضا بقوله: "يقال من الخير أَبْلَيْته إبْلاء ومن الشر بَلَوْته أَبْلُوه بَلاء، قال: والمعروف أَن الابتلاء يكون في الخير والشر معاً من غير فرق بين فعليهما."[11] وكذلك موقف أبي البقاء حيث يقول:" الابتلاء في الأصل التكليف بالأمر الشاق من البلاء. والابتلاء يكون في الخير والشر معا يقال في الخير أبليته وفي الشر بلوته بلاء الأبطال"،[12] وأما أبو هلال العسكري فقد ذكر فروقا دقيقة بين الابتلاء والاختبار حيث يقول: "الابتلاء لا يكون إلا بتحميل المكاره و المشاق، والاختبار يكون بذلك وبفعل المحبوب، ألا ترى انه يقال اختبره بالإنعام عليه، ولا يقال ابتلاه بذلك ولا هو مبتلى بالنعمة كما قد يقال اختبره بالإنعام عليه ولا يقال ابتلاه بذلك ، ولا هو مبتلى بالنعمة كما قد يقال إنه مختبر بها، ويجوز أن يقال إنّ الابتلاء يقتضي استخراج ما عند المبتلى من الطاعة والمعصية، والاختبار يقتضي وقوع الخبر بحاله في ذلك."[13]

وذهب ابن فارس وابن منظور، وكذلك الطبري عليه رحمة الله بقوله: " وقد يكون الابتلاء والاختبار بالرخاء، ويكون بالشدة، ولم يضع لنا دليلا من خبر ولا عقل، أنه عنى بعض ذلك دون بعض،"[14] وكذلك محمد المري بقوله: "الابتلاء والاختبار بمعنى واحد."[15]

وأرى أن ما ذهب إليه أبو هلال أدق من القول إن الابتلاء والاختبار لفظان متقاربان وأنّ الابتلاء يقتضي استخراج ما عند المبتلى من الطاعة والمعصية، والاختبار يقتضي وقوع الخبر بحاله في ذلك لكن لست معه بقصره

---

[10] ابن فارس، أبو الحسين أحمد ( 1979)، معجم مقاييس اللغة، بيروت: دار الفكر، 292/1

[11] ابن منظور : محمد بن مكرم بن منظور (2010)، لسان العرب، بيروت: دار صادر، 82/14

[12] الكفوي: أبو البقاء أيوب بن موسى (2010)، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1/ 27

[13] العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله (2008)، الفروق اللغوية، بيروت: دار العلم للثقافة والنشر، 1/ 10

[14] الطبري، محمد بن جرير (1997)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، بيروت: مؤسسة الرسالة، 38/3

[15] المري: أبو عبد الله محمد بن أبي زمنين(2002)، تفسير القرآن العزيز، القاهرة: مكتبة المنارة الأزهرية، 413/1

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 102-121
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

الابتلاء على تحميل المكاره و المشاق وذلك لما جاء في سورة الأنبياء من قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: ٣٥] فالابتلاء يكون بالخير والشر.

أما الابتلاء في الاصطلاح فقد جاء معنى الابتلاء في اصطلاح المفسرين بمعاني متقاربة تفيد اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد وذلك على النحو الآتي :

- فقد عرفة الفخر الرازي فرأى أن الابتلاء هو التجربة والامتحان حتى يعلم من الإنسان الطاعة أو العصيان.[16]
- وعرفه ابن جزي فقال: "الابتلاء اختبار الإنسان بالخير أو الشر لتقوم الحجة عليه بما يبدو منه."[17]
- وعرفه الخازن فقال: "وأصل الابتلاء الامتحان والاختبار ليعرف حال الإنسان وسمي التكليف بلاء لأنه يشق على الأبدان. وقيل: ليختبر به حال الإنسان."[18]
- وقال النيسابوري: "ومعنى الابتلاء في البسط والضيق وهو أنه سبحانه يعامل المكلف معاملة المختبر ليظهر أنه هل يتلقى النعمة بالشكر والضيق بالصبر أم لا."[19]
- وعرفه أبو بكر الجزائري فقال: "الابتلاء الاختبار والامتحان لإظهار ما عليه الممتحن من قوة أو ضعف."[20]
- وعرفه الزحيلي فقال "الابتلاء: هو الاختبار والامتحان ليعلم ما يكون من حال المختبر."[21]
- وتساءل الشعراوي عن الابتلاء فقال: "ما معنى الابتلاء؟ الناس يظنون أنه شر ولكنه في الحقيقة ليس كذلك لأن الابتلاء هو امتحان إن نجحنا فيه فهو خير، وإن رسبنا فيه فهو شر. فالابتلاء ليس شرا، ولكنه مقياس لاختبار الخير والشر الذي ابتلى هو الله سبحانه هو الرب. والرب معناه المربي الذي يأخذ من يربيه بأساليب تؤهله إلى الكمال المطلوب منه. ومن أساس التربية أن يمتحن المربي من يربيه ليعلم هل نجح في التربية أم لا؟"[22]

وكلها كما نلاحظ من خلال أقول من سبق ذكره من المفسرين السابقين والمحدثين معاني متقاربة، يجمعها جميعا

---

[16] أنظر الرازى، مفاتيح الغيب، 584/20

[17] ابن جزي: محمد بن أحمد الكلبي( 2004)، التسهيل لعلوم التنزيل، بيروت: دار الكتب العلمية، 226/1

[18] الخازن علاء الدين علي بن محمد (1998)، تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل)، بيروت: دار الكتب العلمية. 76/1

[19] القمي النيسابوري: نظام الدين الحسن بن محمد (2012)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، بيروت: دار الكتب العلمية، 497/6

[20] الجزائري : أبو بكر جابر بن موسى (2010)، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، 65/1

[21] الزحيلي: وهبة بن مصطفى(1996)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دمشق: دار الفكر المعاصر، 28/2

[22] الشعراوي، محمد متولي (2010)، تفسير الشعراوي، القاهرة: مطابع أخبار اليوم، 240/1

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 102-121
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

أن نقول: إنّ الابتلاء هو التجربة والاختبار والامتحان بالأمر للإنسان سواء أكان خيرا أم شرا، حتى يعلم من حاله الطاعة أو العصيان.

### 4. ابتلاء نبي الله نوح عليه السلام بامرأته

ونبدأ بالحديث عن ابتلاءنبي الله نوح عليه وعلى رسولنا محمد الصلاة والسلام وهو من أولي العزم من الرسل، و قد ابتلي بلاءً عظيمًا خلال دعوته حيث قضى في الدعوة ألف سنة إلا خمسين عاما، لم يترك وسيلة من وسائل الترغيب والترهيب إلا أخذ بها ورغم ذلك لم يؤمن له إلا القليل، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦﴾ [نوح: ١ – ٦] لقد عانى نبي الله نوح (عليه الصلاة والسلام) كثيرًا من قومه، ولم تجد معهم كل وسائل الترغيب والترهيب، أخبر الحق سبحانه وتعالى لعنادهم وشردوهم عن الحق.

إن هذا لهو البلاء العظيم، ولعل الله سبحانه أراد من خلال قصة نبيه نوح عليه السلام مع زوجته وابنه أن يؤكد على حرية العقيدة، وأن يقدم للناس مثلاً من حياة نبي من أولي العزم من الرسل ما استطاع ان يهدي اقرب الناس له الزوجة والابن . فالرسول يهدي الناس جميعًا أي يدلهم على الصراط المستقيم"فهي الهداية بالدعوة والإرشاد."[23] فمن استجاب لدعوته وفقه الله تعالى لطريق الهداية ، ومن أعرض ونأى بجانبه تحمل نتيجة مخالفته عند الله، ومن هنا ندرك عظمة البيان الإلهي وهو يتحدث في القرآن عن نماذج للكفر من النساء ليؤكد الحق تبارك وتعالى على حرية اختيار العقيدة، وهي قمة القضايا في حياة الإنسان، وأنه حتى المرأة التي هي في ولاية الرجل، وخاضعة لسلطانه وأمره إلا أنه لا يستطيع حملها على ما تكره، حتى ولو كانت المرأة زوجة لنبي من أولي العزم من الرسل كنوح عليه السلام، يقول تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠﴾ [التحريم: ١٠] فلم ينفعها نبي الله نوح عليه السلام بسبب كونها زوجته شيئا من النفع، ولا دفع عنها من عذاب الله مع كرامته على الله شيئا من الدفع وقيل لها ادخلي نار جهنم.[24]

هذا هو البلاء الذي ابتلي به نبي الله نوح عليه السلام، وهذه هي المعاناة التي عانى منها عندما يكون أقرب الناس إليه، ومن له الولاية عليهم أعرض عن دعوته وظاهر أعداءه عليه ، انه بلاء عظيم، وامتحان عسير صبر عليه نبي الله نوح عليه الصلاة وأتم التسليم.

---

[23] ابن عاشور (2008)، التحرير والتنوير، 120/12

[24] الشوكاني، محمد بن علي الشوكاني (2007)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية ، بيروت: دار الكتب العلمية، 204/4

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 102-121
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

فكانت بذلك خانته والخيانة هي خيانة دعوة، أي زوجها نبي كريم، والزوجة لم تؤمن بهذه الدعوة " قال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط، إنما كانت خيانتهما في الدِّين، كانت امرأة نوح تخبر الناس أنه مجنون، وكانت امرأة لوط تدل على الأضياف."[25]

فزوجة نبي الله تعالى نوح –عليه السلام– تزوجها قبل أن يختاره الله تعالى لرسالته، وعندما حمل نبي الله نوح –عليه السلام– أمانة الرسالة وأصبح نبياً ورسولاً اختارت زوجته طريق الضلال، فغرقت مع من غرق من الكفار والمشركين، ولم تركب معه في سفينة النجاة، حيث يقول الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ٤٠﴾ [هود: ٤٠]، فظاهر الآية يقتضي أن زوجته كانت من الذين سبق عليهم القول قال صاحب أضواء البيان" ممن سبق عليه القول من أهله بالشقاء امرأته وابنه."[26] والمتأمل في امرأة نوح عليه السلام يجد أنها فضلت اتباع ما كان عليه قومها من عبادة الأصنام على دعوة نوح –عليه السلام– و كانت نموذجاً للأم السيئة لأنها بكفرها أثرت سلباً في موقف ابنها أيضا كما مر سابقا . وهذا لم يضعف الداعية بل زاده قوة في الدعوة ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦﴾ [نوح: ٥ – ٦] وكانت النتيجة أن هلكت امرأته مع الهالكين، ونجى نوح ومن معه من المؤمنين فكل إنسان مسئول عن ذنبه، ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ ١٤ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَصۡحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلۡنَٰهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٥﴾ [العنكبوت: ١٤ – ١٥]وهذه سنة الله في عباده في الدنيا والآخرة أن العاقبة فيها للمتقين والظفر والغلب لهم كما أهلك قوم نوح بالغرق ونجى الله نوحا وأصحابه المؤمنين.[27]

### 5. ابتلاء نبي الله لوط عليه السلام بامرأته

ابتلى نبي الله لوط عليه السلام بامرأته كنبي نوح عليه السلام فضرب الله بها مثلاً مع امرأة نوح في سورة التحريم حيث قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا عَنۡهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠﴾ [التحريم: ١٠] وكانت خيانتها أيضا كخيانة امرأة نوح في الدين، ولم تكن في الفاحشة، " قال ابن عباس: " أما إنه لم يكن بالزنا، ولكن كانت هذه تخبر الناس أنه مجنون، وكانت هذه تدل على الأضياف."[28] حيث كانت تدل قومها على أضياف لوط عليه السلام. فالخيانة هي مخالفة الحق نقضا للعهد بما صدر عنهما من كفر وعصيان، قال تعالى: ﴿وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ

---

[25] ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن (2007)، زاد المسير في علم التفسير، بيروت: دار الكتاب العربي، 311/4

[26] الشنقيطي، محمد الأمين (2000)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، بيروت: دار الفكر للطباعة و النشر، 13/3

[27] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (1998)، تفسير القرآن العظيم، بيروت: دار الكتب العلمية، 388/3

[28] الطبري (1997)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 430/7؛ وانظر القرطبي :أبي عبد الله محمد بن أحمد (2008) ،الجامع لأحكام القرآن، الرياض: دار عالم الكتب، 46/9

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 102-121
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ [العنكبوت: ٣٣] لأنَّه كان يسرُّ الضيف خوفًا من قومه على ضيوفه، وكانت هي تدلُّ قومها على ضيوفه فامرأته استحقت الهلاك مع الهالكين،" لمظاهرتها إياهم والميل إلى شد أزرهم والدفاع عنهم، فقد كانت تدلهم على ضيوفه، فيقصدونهم بالسوء، فصارت شريكة لهم في الجرم"،[29] حيث كانت في الظاهر مع زوجها وفي الباطن مع قومها على دينهم خائنة لزوجها بدلالتها لهم على أضيافه لا في الفراش.

والمقصود أن امرأة لوط لم تكن مؤمنة في الباطن، وإن كانت في الظاهر مع زوجها، وفي هذا ابتلاء من الله لنبيه لوط عليه السلام في امرأته ليعلي درجته ويرفع منزلته بإيثاره مرضاة الله عليها، كما ابتلى نبيه نوح عليه السلام بابنه وامرأته.

وذلك لترسيخ عقيدة البراءة من الكافرين في النفوس مهما كانت صلتهم، أو خدماتهم " فمثل الله عز وجل حال الكفار في أنهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين، معاقبة مثلهم من غير إبقاء ولا محاباة،ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من لحمة نسب أو وصلة صهر؛ لأن عداوتهم لهم وكفرهم بالله ورسوله قطع العلائق وبت الوصل، وجعلهم أبعد من الأجانب وأبعد، وإن كان المؤمن الذي كان يتصل به الكافر نبيا من أنبياء الله بحال امرأة نوح وامرأة لوط لما نافقتا وخانتا الرسولين لم يغن الرسولان عنهما بحق ما بينهما وبينهما من وصلة الزواج إغناء ما من عذاب الله."[30]

وفي هذا الحدث تعزية لمن ابتلي بابن عاق أو قريب مخالف أو زوجة عاصية وبذل جهده في هدايته فلم يستجب، أن له سلفا بذلك وهو هذا النبي الكريم لوط عليه السلام، فلا يزيده ذلك إلا ثباتا على دين الله حتى وإن كان المخلف امرأته ويجسد القرآن بذلك ترجمة عملية للبشرية بحرية الاعتقاد،فالأنبياء والمرسلين عليهم السلام لا يكرهون أحدا على الدخول في دين الله قال تعالى قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. فهذه الجملة نفي؛ لكن هي بمعنى النهي؛ أي لا تكرهوا أحداً على الدين،[31] وهذا أساس من أسس الدين، فلا يجوزإكراه أحد على الدخول في الدين .

### 6. ابتلاء يوسف عليه السلام بامرأة العزيز

[29] المراغي، أحمد بن مصطفى (1916)، تفسير المراغي، بيروت: دار الكتب العلمية، 126/8

[30] الطيبي، الحسين بن عبد الله (2014)، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، دولة الإمارات: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، 522/15

[31] العثيمين، محمد بن صالح بن محمد (2014)، تفسير الفاتحة والبقرة، المملكة العربية السعودية: دار ابن الجوزي، 264/3

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 102-121
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

أما ابتلاء نبي الله يوسف عليه السلام بامرأة العزيز فهو أيضا ابتلاء عظيم كان له أثر كبير في حياته عليه السلام، فقد كان به مدرسة في الصبر عن المحذور، فقد ثبت أمام هذه المحنة وفتنة الجمال وكان كالجبال الراسيات، فلم تؤثر به المكائد والمغريات، فموقف يوسف عليه السلام في محنته مع امرأة العزيز، والنسوة، وتمتعه بأعلى درجات ضبط النفس، والعفة والطهارة أمام هذا الابتلاء كان به قدوة و مثلاً لكل من يحرص على العفة والطهارة على مر السنين والإيام.

فقد جاء جوابه للمرأة التي هيأت له نفسها: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾ [يوسف: ٢٣]، وسواء كان المراد بالرب سيده عزيز مصر، أو الخالق سبحانه وتعالى[32]، فإنّما يدل ذلك على أثر المبادئ التي نشاء على أساسها في بيت النبوة بيت يعقوب عليه السلام ، فقد حملته على الاستعصام بالله من فعل الفاحشة معللاً ذلك بأنّه سبحانه وتعالى أكرم مثواه، بالنجاة من الجب، وهيأ له أسباب العيش بعد الوقوع في الرق، أو بأنّه لا يخون سيده الذي اشتراه بماله، وأحسن رعايته في بيته، وكلا المعنيين يدل على عظم الأخلاق التي تحلى بها يوسف –عليه السلام– فقد غرسة في نفسه مخافة الله، والتوجه بالود والإحسان لمن أكرمه، وكل ذلك يمنعه من أنْ يقابل الإكرام بالإنكار والجحود، وارتكاب ما يغضب المنعم.

أمّا الهم الذي ورد عن يوسف في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ﴾ [يوسف: ٢٤]. فقد ذهب جمهور المفسرين إلى أنّه: هم الطباع مع الامتناع حيث مال إلى مخالطتهم بحكم الطبيعة البشرية، ومثل هذا لا يدخل تحت التكليف.[33]

قال فضل حسن عباس رحمه الله: "إنّ يوسف–عليه السلام– بشر ومثله في جماله ونضارته وشبابه، وفي النعيم الذي يعيش فيه، وهو سوي في رجولته لا مانع من أن يفكر في هذا، ولكن لا يقف الأمر هنا، بل هنا سر العظمة أن يفكر أحدنا في شيء تتوق إليه نفسه، ولكن يمتنع عنه رغم كل الظروف والموجبات، إن يوسف– عليه السلام–

[32] ذهب إلى كلا المعنيين أبو حيان والآلوسي. انظر: أبي حيان : محمد بن يوسف الأندلسي (2010)، البحر المحيط في التفسير، بيروت: دار الفكر، (257/2)؛ وانظر الآلوسي: : محمود البغدادي (1997)، روح المعاني في تفسير القرآن السبع المثاني، 320/7؛ ويرى الطبري وابن كثير والفخر الرازي والسيوطي وعبد الكريم الخطيب أنّ المراد بالرب في قوله(إنّه ربي) العزيز دون غيره وهو ما أميل إليه، لكونه قد سبق في السورة ما يؤكد قولهم، من قول العزيز لأمرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا". وانظر: الطبري : محمد بن جرير الطبري (1997)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 238/7؛ وانظر: ابن كثير إسماعيل (1998)، تفسير القرآن العظيم، (238/2)؛ وانظر: الرازي: فخر الدين محمد بن عمر ( 1981)، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب (117/9). والسيوطي : عبد الرحمن(1996)، الدّر المنثور في التفسير بالمأثور، بيروت: دار الفكر، (238/7)؛ الخطيب: عبد الكريم ( 2009)، التفسير القرآني للقرآن، بيروت: دار الفكر، (1235/12).

[33] انظر الآلوسي، (1997)، روح المعاني، 311/2.

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 102-121
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

لو لم يكن منه هذا الهم لكان عديم الشهوة، وانتزعت منه الحاجة إلى النساء، وإذا كان كذلك فليس هناك عظيم فضل في امتناعه عن إجابة المرأة."[34]

والذي أراه أنّ هذا الذي ذهب إليه فضل عباس رحمه الله تأييداً لرأي الجمهور فيه بعد، إذ لو كان الهم قد وقع من يوسف بالمرأة، لما كان السوء مصروفاً عنه، بل لكان هو مصروفاً عن السوء، ولما مدح الله يوسف بأنّه من عباده المخلصين بقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤﴾ [يوسف: ٢٤] فالتعبير عن العصمة بالصرف يشير إلى أن أسباب حصول السوء والفحشاء موجودة ولكن الله صرفهما عنه."[35]

وأمّا ما نسب لابن عباس في تفسيره: للهم باستلقائها له وجلوسه منها كما يجلس الرجل من امرأته.[36] فلم تثبت صحته، وهو كلام لا يحتاج إلى رد لكونه لا ينسجم مع مقام النبوة، وقدر الأنبياء، وقد شهد له الله بالبراءة بقوله: ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤﴾ [يوسف: ٢٤]وشهد له عزيز مصر: ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَٰطِـِٔينَ ٢٩﴾ [يوسف: ٢٩]، وشهدت له امرأة العزيز نفسها فاعترفت بذلك، وقالت للنسوة: ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ﴾ [يوسف: ٣٢] وقالت: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٥١﴾ [يوسف: ٥١] ، وشهد له شاهد من أهلها و شهد له النسوة وكذلك إبليس أقر بطهارته من خلال قوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٨٣﴾ [ص: ٨٢ – ٨٣] فهذا إقرار منه بأنه ما أغواه، وما أضله عن طريف الهدى، فثبت بهذه الدلائل والبراهين أن يوسف عليه الصلاة والسلام بريء.[37]

ثم إن يوسف عليه السلام لو وجد منه ذلك الهم " لذكرت توبته واستغفاره كما كان لآدم ونوح وذي النون، وداود– عليهم السلام– وقد سماه الله مخلصاً فعلم بالقطع أنّه ثبت في ذلك المقام...ناظراً في دلائل التحريم حتى استحق من الله الثناء."[38]

وقال صاحب الكشاف فيه: "وهذا ونحوه مما يورده أهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله تعالى وأنبيائه."[39]

---

[34] عباس: فضل حسن عباس (2001)، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، عمان: دار الفرقان، 401

[35] ابن عاشور، (2008)، التحرير والتنوير، 249/12

[36] الطبري محمد بن جرير(1997)، جامع البيان، 240/7

[37] ابن عادل ابو حفص عمر بن علي (1994)،اللباب في علوم الكتاب، بيروت: دار الكتب العلمية، 64/11

[38] النسفي عبدالله بن أحمد(2001)، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل )، بيروت: دار الكتاب العربي، 217/2

[39] الزمخشري (د.ت) الكشاف، 317/2

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 102-121
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

وأما ما ذهب إليه صاحب المنار: همت بتأديبه بالضرب على أهون تقدير، وهّم بها ضرباً للدفاع عن نفسه،[40] فتستبعده ظروف الحادثة، وذلك من خلال استباق يوسف والمرأة للباب، وقدّ المرأة لقميصه من دبر، إذ الضرب أو الهم به يحمله أن يتوجه إليها، ولم يثبت ذلك بل ثبت خلافه.

ويبقى ما رجحه صاحب البحر المحيط، والعكبري من أنه لم يقع منه عليه السلام هّم البته، بل هو منفي لوجود البرهان، لأنّ لولا أداة امتناع لوجود، أي لولا برهان ربه لهم بها[41] وهو من وجهة نظري من أسلم الآراء وأجودها تناسبا مع ما يحققه من عصمة للأنبياء ويخرجهم من دائرة الاتهام.

واعترض ابن عطية عليه بقوله: "وهذا قول يرده لسان العرب وأقوال السلف"[42] اعتماداً على قول الزجاج: "لو كان الكلام ولهمَ بها لولا، لكان بعيداً، فكيف مع سقوط اللام، لأنّ لولا تجاب باللام"[43]. ويرد عليه بما يلي: أما أقوال السلف التي يرى ردها لهذا الرأي المفسر للهم بأنّ يوسف جلس من المرأة مجلس الخائن، فقد سبق واتضح لنا عدم صحتها، وفي ذلك يقول أبو حيان: "أمّا أقوال السلف فنعتقد أنّه لا يصح عن أحد منهم شيء في ذلك لأنّها أقوال مكذوبة يناقض بعضها بعضاً مع كونها تقدح في بعض فساق المسلمين فضلاً عن المقطوع لهم بالعصمة"[44]

وبناء على ما سبق تكون محنة نبي الله يوسف– عليه السلام– مضرب مثلا في العفة والطهارة، أمام الابتلاء ومضرب مثل بالصبر على البلاء.

### 7. ابتلاء نبي الله داوود عليه السلام بامرأة أوريا وحقيقته

وأما نبي الله داوود عليه السلام فقد عرض القرآن الكريم لذكره وطلبه عفو الله ومغفرته بعد ذكر حادثة وقعت له ، مما يدل على ابتلاء واختبار و ذلك في قضية غلط فيها بعض المفسرون بنسبة المعصية والمخالفة إلى نبي الله داود عليه السلام في قصة الخصمين عند تفسير قوله تعالى: ﴿۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ٢١ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ٢٢ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ٢٣ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ۩ ٢٤ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٢٥﴾ [ص: ٢١ – ٢٥] فقد ذكر الطبري والقرطبي والسيوطي والعجيلي قصة حول هذه الآيات مفادها أن نبي الله داوود عليه السلام

[40] انظر محمد رشيد رضا (2002)، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، بيروت: دار الفكر، 286/12

[41] أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (2010)، البحر المحيط، 258/6

[42] ابن عطية : أبو محمد عبد الحق بن غالب (1994)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، بيروت: دار الكتب العلمية، 35/3.

[43] الزجاج ،أبو إسحاق إبراهيم السّري (2002)، معاني القرآن وإعرابه، عالم الكتب، 101/3

[44] أبو حيان (2010)، البحر المحيط، 258/6

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 102-121
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

رأى زوجة أحد جنوده وهي تغتسل فأحبها،وأرسله للقتال في حملة التابوت،فقتل وتزوجها فجاءه ملكان،وصححا ما وقع منه.[45] وقد ذكر الحاكم في المستدرك رواية في ذلك[46] وفيها السدي أبو إسماعيل عبد الله بن أبي كريمة،وهو مجهول الحال[47]، فالرواية لا تصح، وقد ذكر الرازي لبطلان هذه القصة وجوها[48] منها:

أولا: إن هذه الحكاية لو نسبت لأفسق الناس وأشدهم فجورا لاستنكف عنها،فكيف يليق بالعاقل إذن نسبتها للمعصوم عليه السلام؟

ثانيا: إن حاصل القصة يرجع إلى أمرين :إلى السعي في قتل مسلم بغير حق،وإلى الطمع في زوجته،وكلاهما أمر منكر بالشرع ،وهذا الإنسان واسمه أوريا ، لم يسلم لا في روحه، ولا في منكوحه ، بناء على هذه القصة المذكورة.

الثالث :إن الله عز وجل وصف داود قبل عرض القصة في السورة، وبعدها بصفات تمنع من نسبة الذنب والمخالفة إليه، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٧﴾ [ص: ١٧]، وقوله: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٢٥﴾ [ص: ٢٥] ثم إن القصة المذكورة تخدش في نزاهة من وقعت منه،فلا تناسب حال الأطهار الذين أكرمهم الله بمقام النبوة.وذكر صاحب التفسير القرآني للقرآن تعليلا آخر للقصة يتمثل بتمكن القوى من الضعيف ،حيث قال:"إن القصة تمثل صراعا بين قوي وضعيف .. بين من يملك الكثير الكثير ومن لايملك إلا القليل القليل،بين صاحب سلطان يعتز بسلطانه،ويمضي الأمور بكلمة تصدر من فمه.[49]

وأرى أنه ليس من الحكمة أيضا نسبة استغلال السلطة إلى داود عليه السلام،ليضيف إلى خيوله فرسا،وإلى مزارعه مزرعة، فالأنبياء هم أزهد الناس في الدنيا ولو وقع مثل هذا من نبي كريم كداود عليه السلام لكان في ذلك التماس عذر كبير لكثير من عتاة اليوم،الذين يستغلون سلطانهم في أكل أموال الناس بالباطل. إذن فما هو الأمر الذي استغفر منه داوود عليه السلام وخر راكعا وأناب طالبا عفو الوهاب؟ إذا أمعنا النظر في السياق نلاحظ أن الخصمين قد دخلا عليه في موضع لا يقضي فيه عادة ففزع لذلك من دخولهما،مما حمله على التعجل في الحكم عند سماع أحد الخصمين، وهو ما يرشد إليه سياق الآيات،فيفيد أن الحري بمن تولى أمر الحكم والقضاء أن يتروى، ولا يتعجل في

---

[45] انظر الطبري (1997)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 17/12؛ وانظر القرطبي (2006)، الجامع لأحكام القرآن، 166/15؛ وانظر السيوطي (1996)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، بيروت: دار الفكر، 160/7؛ وانظر العجيلي (1994)، الفتوحات الأهية (تفسير الجلالين للدقائق الخفية، بيروت: دار الفكر، 329/3

[46] انظر الحاكم النيسابوري :محمد بن عبد الله (2002)، المستدرك على الصحيحين،كتاب تواريخ المتقدمين من المرسلين، بيروت: دار الكتب العلمية، 640/2

[47] انظر العسقلاني أحمد بن حجر ( 1992)، تقريب التهذيب، بيروت: دار الكتب العلمية، 588/1

[48] انظر الفخر الرازي: محمد بن عمر(1981)، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، بيروت: دار الفكر، 165/13

[49] الخطيب، عبد الكريم ( 2009)، التفسير القرآني للقرآن، 1074/6

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 102-121
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

الحكم،قبل أن تتبين له الأمور، وكان سبب هذه العجلة أيضا غضبه لأجل الله من غير مواربة، أوميل لمن اعتقد منه الظلم،فلما تبين له تعجله في الحكم استغفر ربه وأناب .

وقد ختمت الآيات بما يدل على رفعته وعلو مكانته،لا على عصيانه وقلة طاعته، ببيان ماله عند الله من زلفى وحسن مآب،قال تعالى: ﴿فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٢٥﴾ [ص: ٢٥]، ولو كان الحديث عن معصية وذنب لما كان من المناسب ختم القصة بهذه الفاصلة.

وإن دل ذلك فإنما يدل على شفافية روح وعلو مكانة، ورفعة منزلة،تجعل صاحبها يؤوب إلى الله طالبا عفوه ومغفرته من غير صدور زلة،أو ارتكاب .

## 8. ابتلاء النبي محمد صلى الله عليه وسلم بزوجاته

ونختم البحث في الحديث عن ما جاء في القرآن الكريم من ابتلاء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في بعض ازواجه، وأشدها المحنة التي حلت في البيت النبوي ونشرتها السنة المنافقين وذلك بعد غزوة بني المصطلق، تلك المحنة التي تعرضت لها أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما وهي حادثة الإفك[50] وفيها اتهمها المنافقون بالفاحشة، فهي مصاب عظيم، وبلاء جسيم، وفتنة خبيث لئيم[51]، قد أصابت قلب الرسول الله صلى الله عليه وسلم وقلب كل مسلم محب ولآل بيته فحادثة الإفك هزت المجتمع الإسلامي في قمته، فمست رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه الصديق وزوجته أم المؤمنين عائشة وجماعة من الصحابة. حتى "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر: "ما بال رجال قد بلغني أذاهم في أهلي."[52]

وقد ذكر القرآن الكريم هذه الحادثة بشكل مفصل في سورة النور، و بيّن تفاصيلها، وما لحق بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فيها من أذى، وقد وقعت هذه الحادثة والرسول صلى الله عليه وسلم خارجاً في أحد غزواته؛ وهي غزوة بني المصطلق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج في سفر أقرع بين نسائه فوقعت القرعة في هذه الغزوة على عائشة رضي الله عنها ، وبعد نزول المسلمين إلى بعض المنازل، خرجت لحاجتها، وبينما هي في الطريق فقدت عقداً فرجعت إلى المكان الذي فقدته فيه تبحث عنه في وقتها، وفي هذه الأثناء جاء النفر الذين كانوا يقودون هودجها، فظنوها فيه، فحملوه، وعادت إلى المنازل التي كانوا يقيمون فيها، فلم تجد في أحداً، فقعدت فيها، وتلفعت في عبائتها، ظناً منها أنهم سيفقدونها، ويعودون إليها، فغلبها النعاس، ونامت عيناها. وكان صفوان بن المعطّل السّلميّ من وراء الجيش فرأها فعرفها فأناخ راحلته، فركبتها، ثم جاء يقود بها بعد ما نزل الجيش في الظهيرة،

---

[50] والإفك : هو أشدّ الكذب، انظر ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل ( 123/1)

[51] انظر أبي محمد خميس السعيد محمد عبد الله، مواقف حلف فيها النبي صلى الله عليه وسلم، بيروت: بيت الأفكار الدولية، 74/1

[52] أخرجه الطبراني في باب قصة الإفك أبو القاسم الطبراني سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، 66/3

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 102-121
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

فلما رأى بعض المنافقين الذين في صحبة النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك السفر مجيء صفوان بها في هذه الحال، أشاعوا ما شاع[53] وتلقفته الألسن، حتى أخطأ بذلك بعض المؤمنين، وصاروا يتناقلون الكلام. وصبر صلى الله عليه وسلم حتى جاء الفرج من الله و سطع نور براءتها وظهرت الحقيقة، وازدادت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها شرفا إلى شرفها، وذكرا حسنا إلى يوم القيامة حيث نزل الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم ليبين براءتها رضى الله عنها في سورة النور فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١﴾ [النور: ١١] قال ابن كثير: "هذه نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين، رضي الله عنها، حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت والفرية التي غار الله تعالى لها ولنبيه، صلوات الله وسلامه عليه، فأنزل [الله عز وجل براءتها صيانة لعرض الرسول، عليه أفض ل الصلاة والسلام."[54]

والمصائب والفتن اختبارات تبين مدى الإيمان، فهي وسيلة تشحذ همة المؤمن، وتقوي إيمانه، و الابتلاء يزيد الرجال الصادقين ثباتاً وعمقاً، ولن يكون الابتلاء شراً للمؤمنين أبداً، فهو خير يسوقه الله لعباده فحقيقة الخير ما زاد نفعه على ضره وحقيقة الشر ما زاد ضره على نفعه. فالحادثة خير لهم، لأن فيها منافع كثيرة إذ يميز بها المؤمنون من المنافقين، وشرع لهم بسببها أحكاما تردع أهل الفسق عن فسقهم، وتبين بها براءة فضلائهم ويزداد المنافقون غيظا ويصبحون محقرين مذمومين.[55]

ولا شك أن ترك الألسنة تلقي التهم على المحصنات –وهن العفيفات يهدد المجتمعات بالانهيار وتدمير الفضلاء ونشر اخبار الرذيلة "فالقذف جريمة بشعة في حق المجتمع كله، تشيع فيه الفاحشة وتتقطع الأواصر، هذا إن كان للمحصنات البعيدات، وهو أعظم إن كان للزوجة، لكن ما بالك إن وقع مثل هذا القول على أم ليست أما لواحد، إنما هي أم لجميع المؤمنين، هي أم المؤمنين السيدة عائشة – رضي الله عنها وأرضاها "[56] فمن الناس من يتلقف الكلام دون تمحيص، ويلقيه بلا تفكر في صدقه وكذبه، ودون أن يعرضه على قلبه وعقله ، وهو أمر خطير فاتهام أهل الفضل والصلاح والطعن في أعراضهم جريمة عظمى.

ثم إن رمي المحصنات العفيفات بالشائعات أخطر الحروب المعنوية و أشد الأسلحة تدميراً وأعظمها وقعاً و تأثيراً.

---

[53] انظر موسى شاهين لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، بيروت: دار الشروق، 354/10

[54] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (1998)، تفسير القرآن العظيم، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، 19/4؛ وانظر القرطبي، (2006)، الجامع لأحكام القرآن، 195/12

[55] ابن عاشور: محمد الطاهر (2008)، التحرير والتنوير، 171/8

[56] الشعراوي : محمد متولي (2010)، فسير الشعراوي ، 87/4)

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 102-121
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

وبالرغم من تأثره صلى الله عليه وسلم بهذا الحادث ،وما أثير حوله من شائعات حول عائشة رضى الله عنها إلا أنه كان ممسكا بزمام نفسه، وسمت أخلاقه فاحتوى هذه الفتنة .و تعامل معها بحكمة شديدة، لكمال خلقه، وعظيم صبره، وقوة بأسه، ورجاحة عقله، وقوة فطنته وذكائه صلى الله عليه وسلم. حتى جاءه الفرج من الله بكشف الزيف وإعلان البراءة فنزل الوحي من الله على الرسول صلى الله عليه وسلم ليبين براءتها رضى الله عنها بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١﴾ [النور: ١١] وأما الابتلاء الآخر له عليه صلى الله عليه وسلم بنسائه فهو تظاهر بعضهن رضي الله عنهن عليه، وقد تحدث القرآن عن هذا الابتلاء في سورة التحريم: 1-4 وذلك أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان يشرب عسلا عند زينب بنت جحش ويمكث عندها فتواطأت أم المؤمنين عائشة مع أم المؤمنين حفصة رضي الله عنهما أيتها دخل عليها النبي فلتقل له أكلت مغافير إني أجد منك ريح مغافير،يوضح ذلك ما أخرجه البخاريز" عن عائشة – رضى الله عنها – قالت كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يشرب عسلا عند زينب ابنة جحش ويمكث عندها فواطيت أنا وحفصة عن أيتنا دخل عليها فلتقل له أكلت مغافير[57] إني أجد منك ريح مغافير . قال « لا ولكني كنت أشرب عسلا عند زينب ابنة جحش فلن أعود له وقد حلفت لا تخبري بذلك أحدا ».[58]"

"والسورة الكريمة في مطلعها تحكى جانبا مما دار بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين بعض زوجاته فتعرض صفحة من حياته صلى الله عليه وسلم في بيته، ومن عتاب الله– تعالى– له ومن فضله عليه، ودفاعه عنه."[59]

ويقول الزحيلي: "يا أيها الرسول النّبي، لماذا تمنع نفسك من بعض ما أباح الله لك، قاصدا إرضاء أزواجك، والله غفور لما فرط منك، من تحريم ما أحلّ الله لك، وما تقدّم من الزّلة، رحيم بك، فلا يعاقبك على ذنب تبت منه. وهذا عتاب بطريق التلطّف."[60]

وقال صاحب الكشاف:" وكان هذا زلة منه لأنه ليس لأحد أن يحرّم ما أحلّ الله لأن الله عزّ وجل إنما أحل ما أحل لحكمة ومصلحة عرفها في إحلاله ، فإذا حرّم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة."[61]

---

[57] المغافير :صمغ شجر العرفط وله رائحة مختمرة) وقد كان النبيء صلى الله عليه وسلم يكره أن توجد منه رائحة وإنما تواطأتا على ذلك غيرة من أن يحتبس عند زينب زمانا يشرب فيه عسلا. فدخل على حفصة فقالت له ذلك، فقال: بل شربت عسلا عند فلانة ولن أعود له، أراد بذلك استرضاء حفصة في هذا الشأن وأوصاها أن لا تخبر بذلك عائشة ، فأخبرت حفصة عائشة فنزلت الآيات،انظر ابن عاشور (2008)، التحرير والتنوير، 123/8

[58] أخرجه البخاري في باب "لم تحرم ما أحل الله لك" البخاري، (1990)، الجامع الصحيح، 38/4

[59] محمد سيد طنطاوي ، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 165/14

[60] الزحيلي: وهبة بن مصطفى ( 1996)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دمشق: دار الفكر المعاصر، 306/8

[61] الزمخشري محمود بن عمر (1998)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، بيروت: دار إحياء التراث العرب، 566/4

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 102-121
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

ولا أرى في ذلك عتابا على النبي صلى الله عليه وسلم ولا زلة منه وقعت، فالنبي قد يحرم على نفسه شيئا أحله الله، كشرب عسل، أو وطء سرية ولا اشكال في ذلك، فلا ينبغي لنا أن ننسب إلى المعصوم صلى الله عليه وسلم ما ليس لائقا بمقامه ،وهذا ما ذهب إليه الفخر الرازي بقوله: "والظاهر أن هذا الخطاب ليس بطريق العتاب بل بطريق التنبيه على أن ما صدر منه لم يكن كما ينبغي."[62] ومثله صاحب البحر المحيط بقوله: "يا أيها النبي: نداء إقبال وتشريف وتنبيه بالصفة على عصمته مما يقع فيه من ليس بمعصوم لم تحرم: سؤال تلطف، ولذلك قدم قبله يا أيها النبي."[63]

فالخطاب بلفظ النبوة مشعرٌ بالتوقير والتعظيم، والتنويه بمقامه الرفيع الشريف، عليه الصلاة والسلام، فلم يخاطبه باسمه العلم كما خاطب سائر الرسل بقوله «يا إبراهيم، يا نوحٌ، يا عيسى بن مريم» وإنما خاطبه بلفظ النبوة.[64]

ثم إن ما حرمه صلّى الله عليه وسلّم على نفسه المراد منه هو الامتناع عن الانتفاع فامتنع عليه الصلاة والسلام عن الانتفاع به مع اعتقاده بكونه حلالا[65] وهو شبيه بما حرّمه (اسرائيل) وهو يعقوب عليه السلام على نفسه باجتهاد منه، على الصحيح لأن الله تعالى أضاف التّحريم إليه ، وقد حرّم نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم العسل على نفسه– في الرواية الصحيحة.[66]

أما العتاب فهو في خطاب القرآن الكريم الموجه لأم المؤمنين حفصة. وأم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿إِنتَتُوبَآإِلَىٱللَّهِ﴾ [التحريم: ٤] فالالتفات من الغيبة إلى الخطاب للمبالغة في المعاتبة فإن المبالغ في العتاب يصير المعاتب أولاً بعيداً عن ساحة الحضور، ثم إذا اشتد غضبه توجه إليه وعاتبه بما يريد."[67]

وأكد الله نصرته لنبيه بقوله تعالى: ﴿وَإِنتَظَٰهَرَاعَلَيۡهِفَإِنَّٱللَّهَهُوَمَوۡلَىٰهُ﴾ [التحريم: ٤] وذلك بتحذير زوجاته من التعاون عليه صلى الله عليه وسلم من الإساءة إليه بسبب إفراط الغيرة ، وإفشاء سره ونحو ذلك لأن الله ناصره.[68]

---

[62] الرازي ( 1981)، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، 63/8

[63] أبو حيان (2010)، البحر المحيط في التفسير، 206

[64] الصابوني، محمد علي (1985)، صفوة التفاسير، القاهرة :دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، 383/3

[65] انظر الرازي : فخر الدين محمد بن عمر ( 1981)، التفسير الكبير و مفاتيح الغيب، 569/8

[66] الزحيلي: وهبة بن مصطفى ( 1996)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دمشق: دار الفكر المعاصر، 9/4

[67] الآلوسي (1997)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، 125/8

[68] انظر ابن جزي ( 2004)، التسهيل لعلوم التنزيل، 214/2

معالم القرآن والسنة
MAᶜALIM AL-QURAN WA AL-SUNNAH
*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 102-121
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

وقد واجه النبي هذا الابتلاء أيضا بكمال خلقه، وعظيم صبره، وقوة بأس، ورجاحة عقل، وقوة فطنة وذكاء منه صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٣﴾ [التحريم: ٣].

فقد عرف بعضه صلى الله عليه وسلم لحفصة رضي الله عنها وأعرض عن بعض فلم يخبرها أنك أخبرت عائشة رضي الله عنها وذلك على وجه التكرم والإغضاء منه[69] "فعرّفها بعض ما أفشته معاتبا وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ الحديث تكرّما"[70] وهذا خلق جم منه صلى الله عليه وسلم، فالتغاضي عن بعض الأخطاء قد يكون علاجا لها في بعض الآحيان، ليعلمنا بذلك كيف نحافظ على أمن الأسرة واستقرارها فنعالج المشكلات الأسرية بحكمة وروية.

وبهذا الابتلاء لخاتم المرسلين والأنبياء صلوات ربي وسلامه عليه نعلم من خلاله أن الدنيا دار اختبار وابتلاء، وليست دار راحة ، فما كملت الدنيا لأحد، و حق فيها قول القائل :

حكم المنية في البرية جارِ ما هـذه الدنيا بدار قرارِ

طُبعتْ على كدر وأنت تريدها صفواً من الأقذار والأكدار.[71]

## 9. الخاتمة

وختام الحديث عن ابتلاء بعض الأنبياء عليهم السلام بالنساء توصل الباحث من خلال هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:

أ. أنبياء الله هم أمناء الله على وحيه، وسفراؤه إلى خلقه، فلا يوصفوا بصفة تنفر من الاستماع إليهم ،والقبول منهم.

ب. إنّ الفتنة بالنساء أشد من الفتنة بغيرهن فالفتنة بهن أشد من كثير من الفتن.

ت. محنة نبي الله يوسف– عليه السلام– بالابتلاء بالنساء كانت مضرب مثلا في العفة والطهارة، أمام الابتلاء ومضرب مثل في الصبر عن المحذور

ث. ابتلى نبي الله نوح ولوط عليهما السلام بامرأتين كافرتينفلم يزيدهما ذلك إلا ثباتا على دين الله حتى وإن كان المخلف امرأتيهما ، وقد جسدا بصبرهما على المرأتين مع كفرهما ترجمة عملية للبشرية بحرية الاعتقاد وعدم الأكراه

[69] انظر الرازي (1981)، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، 569/8

[70] القاسمي (2001)هـ محاسن التأويل، 375/9

[71] التهامي أبو الحسن علي بن محمد (2006)، ديوان أبي الحسن علي بن محمد التهامي، الاسكندرية: مكتبة المعارف ، 68

*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 102-121
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

ج. نبي الله يوسف –عليه السلام– لم يقع منه هّم البته بالفاحشة، فهو منفي لوجود البرهان، لأنّ لولا أداة امتناع لوجود، فوجود البرهان من الرحمن منع وقوع الهم بالمعصية.

ح. نبي الله داوود عليه السلام نبي كريم لا صحة لما روي من ابتلائه بزوجة أحد جنده.

خ. ابتلي خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ببعض أزواجه فواجه هذا الابتلاء بكمال خلق، وعظيم صبره، وقوة بأس، ورجاحة عقل، وقوة فطنة وذكاء منه صلى الله عليه وسلم.

د. التغاضي عن بعض الأخطاء في الأسرة قد يكون علاجا لها في بعض الأحيان ، يمكننا في أن نحافظ على أمن الأسرة واستقرارها ونحن نعالج المشكلات الأسرية بحكمة وروية

## REFERENCES (المصادر والمراجع)

[1] Abdul Mohsen al-Qaisi (2009), The Virtue of the Noble Qur'an over the Arabic language، *Journal of Maʿālim al-Qurʾān wa al-Sunnah، 4(5)* 190-191.

[2] Abdul Salam Moqbel al-Majeedi (1438H-2017M), *At-alaqi An-nabawi Lillafth al-Qurani*, A'mman: Jama'iat al-Mohafathah A'la al-Quran al-Kareem.

[3] Abu A'bdillah Ahmad ibn Hanbal al-Shaibani (1421H/2001M), *al-Maosoa'h al-Hadeethiyah li Mosnad al-Imam Ahmad ibn Aanbal al-Shaibani*, Beirut: Moassat-Risalah.

[4] Abu Bakr Ahmed bin Musa bin al-A'bbas bin Mujahid al-Tamimi al-Baghdadi (1400H) *Kitabu-ssaba'ah fil-qiraat*، Cairo: Dar Al-Maaref.

[5] Al-Hafiz Muhammad bin Hibban Al-Bust, (1414H/1993M), *Al-Ihsan fi Taqreeb Sahih ibn Hibban، bi-tarteeb al-Ameer Ala'au-deen bin Bilban Al-Farisi*، Beirut: Al-Muassatur Risalah.

[6] Al-Imam Abu al-Hussein Muslim bin al-Hajjaj al-Qushairi al-Nisaboori (1421H/2001M) *Sahih Muslim*, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Alami.

[7] Al-Imam Al-Hafiz Abu A'bduillah Muhammad ibn Isma'eel Al-Bukhari (1424H/2004M), *Sahih Al-Bukhari*, Beirut: Modern Library.

[8] Al-Imam al-Hafiz Abu al-Khair Muhammad ibn Muhammad ibn Muhammad al-Dimashqi, al-ma'rouf bi-ibn al-Jazari, (1418H/1998M), *Al-Nasher fi al-Qira'at al-Asher*، Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyya.

[9] Al-Imam Al-Hafiz Imad Al-Din Abu Al-Feda'a 'Ismail ibn Katheer Al-Qurashi Al-Dimashqi (1420H/2000M), *Tafsir al-Quranil Azim.* Beirut: The Arab Heritage Revival House.

*Journal of Ma'alim al-Quran wa al-Sunnah*
Vol. 16, No. 2, (2020), pp. 102-121
ISSN: 1823-4356 | eISSN: 2637-0328

[10] Al-Imam Al-Hafiz Imad Al-Din abu Al-Feda'a 'Ismail ibn Katheer Al-Qurashi Al-Dimashqi (1430H/2009), *Bidayatu-nihayah*, Beirut: The Modern Library.

[11] Amjad Ali Saadeh (2011), Towards the Study of Arabic Phonetic, through the Efforts of Imam Makki bin Abi Talib Al-Qaisi in the Book of Care as a Model, *Journal of Maʿālim al-Qurʾān wa al-Sunnah*, 6(7), 15

[12] Hosni Sheikh Othman (1410H/1990M), *Haqqo-tilawah*, Zarqa: Al-Manar Library.

[13] Majdu-Deen Al-Mubarak bin Muhammad ibn Al-Atheer Al-Jazar, (1426H/2005M), *Al-Nihayat-fi gareeb al-Hadeeth wa-lathar*, Beirut: The Modern Library.